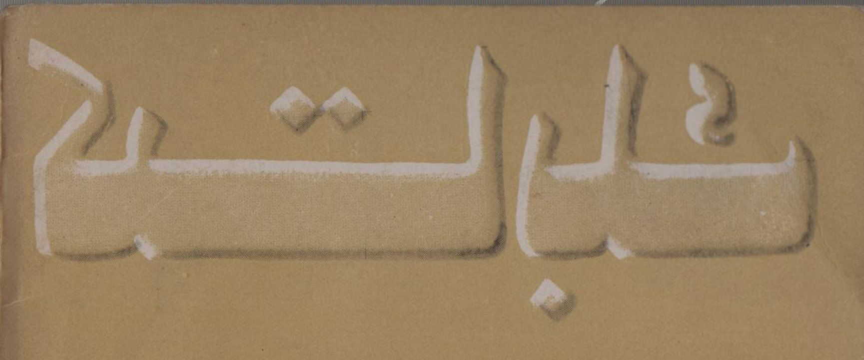
كتابك

٥٤

فتحى سعيد

شوقى أمير الشعراء... لماذا؟

دار المعارف



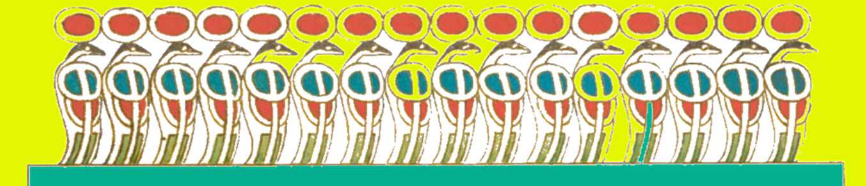
هذا الكتاب

هذه سياحة فنية فى عالم أمير الشعراء أحمد شوقى . الذى شغل الناس – ولا يزال – بابداعه المتعدد الجوانب بين القصيدة والمسرحية . فى تجديد فنى ارتفع بفن الشعر مرة أخرى بعد عصور طويلة من الانحطاط والركود .

وإذا كان النقاد قد اختلفوا فى فن شوقى . فإن هذا الاختلاف دليل صادق على مكانته الفنية المتفردة .

١٠ ج

٥٠٧٨/١



ندعوكم لزيارة قنواتنا على اليوتيوب

قناة الإرشاد السياحي



قناة تهتم بالحضارة المصرية وتحتوي على فيديوهات تشرح مواقع الحضارة المصرية القديمة من معابد ومقابر وآثار منقولة في المتاحف بإضافة إلى العديد من الكتب المسموعة على اليوتيوب مصحوبة بالتعليق ووهي عن التاريخ المصري بوجه عام من تاريخ قديم وتاريخ مصر في العصور الاسلامية

قناة الكتاب المسموع



الكتاب المسموع

قناة تهتم بالقصص القصيرة والروايات الطويلة سواء للكتاب العرب أو الأجانب ومنها قصص بوليسية ورعب واجتماعية وخيالية وواقعية وسير ذاتية وأطفال

صفحة تحميل الكتب



كتب سياحية و أثرية و تاريخية عن مصر

كتاب · @AhmedMa3touk





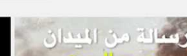
الكتاب المسموع - قصص قصيرة - روايات

731 مشتركًا

مشترك | CSV EXPORT | ADD COMPETITOR

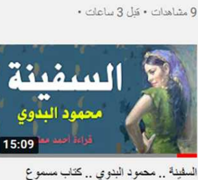
الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | القنوات | مناقشة | لمحة

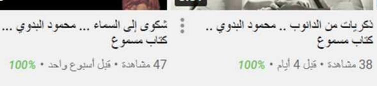
الفيديوهات المُحمّلة | تشغيل الكل | Top Keywords | الترتيب حسب






- رسالة من الميدان .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 9 مشاهدات • قبل 3 ساعات •
- صرخة في الليل .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 41 مشاهدة • قبل يوم واحد • 100%
- الخنزير .. تأليف محمود البدوي .. كتاب مسموع — 50 مشاهدة • قبل يومين • 100%
- الغريق ... محمود البدوي .. قصة قصيرة — 38 مشاهدة • قبل 3 أيام • 100%



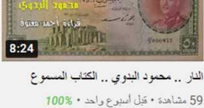



- السفينة .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 59 مشاهدة • قبل 4 أيام • 100%
- ذكريات من الدانوب .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 38 مشاهدة • قبل 4 أيام • 100%
- شكوى إلى السماء ... محمود البدوي ... كتاب مسموع — 47 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- دارلنج ... محمود البدوي .. كتاب مسموع — 55 مشاهدة • قبل أسبوع واحد •









- العزبة الجديدة ... محمد البدوي .. كتاب مسموع — 124 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- العذراء والليل .. محمود البدوي .. الكتاب المسموع — 75 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- فاعل خير .. محمود البدوي .. قصص قصيرة — 44 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%
- النار .. محمود البدوي .. الكتاب المسموع — 59 مشاهدة • قبل أسبوع واحد • 100%





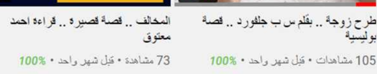

- حارس المحطة .. محمود البدوي .. كتاب مسموع — 87 مشاهدة • قبل أسبوعين • 100%
- دروس خصوصية .. محمود البدوي .. قراءة أحمد معتوق — 82 مشاهدة • قبل أسبوعين • 100%
- ليلة في بوخاريست ... محمود البدوي ... قصة رومانسية — 96 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- حلم الموت .. قراءة أحمد معتوق .. كتاب مسموع — 107 مشاهدات • قبل 3 أسابيع • 100%






- تابوت الموتى .. قصة مسموعة .. قراءة احمد معتوق — 130 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- الطاعة العمياء .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق — 123 مشاهدة • قبل 3 أسابيع • 100%
- الساحرة .. س ب جلفورد .. قراءة أحمد معتوق .. كتاب مسموع — 156 مشاهدة • قبل 4 أسابيع • 100%
- الخادم الذي لم يقتل .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق — 95 مشاهدة • قبل 4 أسابيع • 100%



- طرح زوجة .. بقلم س ب جلفورد .. قصة بوليسية — 105 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%
- المخالف .. قصة قصيرة .. قراءة احمد معتوق — 73 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- جزيرة الكنز ... قصة بوليسية .. ريتشارد هاردينج .. كتاب مسموع — 110 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%
- المقبرة ... قصة بوليسية .. كتاب مسموع — 138 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%








- 51:45 — سر الصندوق .. قصة بوليسية .. قراءة أحمد معتوق — 132 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 19:56 — في سيدي العتريس .. يوسف السباعي .. الكتاب المسموع — 113 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 20:24 — في المبتديان ... يوسف السباعي .. الكتاب المسموع — 99 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 21:45 — في الناصرية ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع — 141 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%





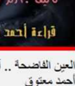


- 20:44 — في الخليج المصري ... يوسف السباعي ... قصص قصيرة — 137 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 20:37 — في زين العابدين .. يوسف السباعي .. كتاب مسموع — 117 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 21:32 — في حارة السيده ... يوسف السباعي ... الكتاب المسوع — 130 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 19:48 — في البغالة ... يوسف السباعي ... كتاب مسموع — 146 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%




- 20:47 — في سيدي الحبيبي ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع — 103 مشاهدات • قبل شهر واحد • 100%
- 20:28 — في الموارد ي ... يوسف السباعي .. كتاب مسموع — 99 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 21:12 — في سيدي زينهم ... يوسف السباعي ... كتاب مسموع — 139 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 20:07 — في جنينة ناميش .. يوسف السباعي .. الكتاب المسموع — 132 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%





- 19:32 — في ابو الريش .. يوسف السباعي — 127 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 36:34 — سر المسحوق الوردي - من الخيال العلمي - قراءة أحمد معتوق — 100 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 29:04 — القصر المسكون ... دونالد هوينج .. الكتاب المسموع — 140 مشاهدة • قبل شهر واحد • 100%
- 13:37 — العين الفاضحة .. آرثر بروجيس .. قراءة أحمد معتوق — 61 مشاهدة • قبل شهرين • 100%







- 12:52 — سخرية القدر.. كارول مايرز - كتاب مسموع — 85 مشاهدة • قبل شهرين • 100%
- 42:56 — المزحة القاتلة — 97 مشاهدة • قبل شهرين • 100%
- 44:54 — رحلة غرامية .. قصة من الأدب الأمريكي — 100 مشاهدة • قبل شهرين • 100%
- 49:00 — آلة الزمن ... قصة قصيرة .. قراءة أحمد معتوق — 97 مشاهدة • قبل شهرين • 100%





- 16:45 — آلة الجنون ... ليو إليس .. قراءة أحمد معتوق — 52 مشاهدة • قبل شهرين • 100%
- 13:02 — حتى يفرق الموت بيننا - كارول مايرز - قصة قصيرة — 56 مشاهدة • قبل شهرين • 100%
- 17:52 — عندما يموت هذا الرجل - قصة قصيرة — 76 مشاهدة • قبل شهرين • 100%
- 35:10 — كأس وليمونة ... محمود تيمور ... قصة قصيرة — 88 مشاهدة • قبل شهرين • 100%






- 6:18 — على الحياد ... محمود تيمور ... قصة قصيرة .. الكتاب المسموع — 88 مشاهدة • قبل شهرين • 100%
- 6:34 — ليلة العرس ... محمود تيمور ... قصة قصيرة — 108 مشاهدات • قبل شهرين • 100%
- 13:30 — الجنتلمان ... محمود تيمور ... قصة قصيرة — 86 مشاهدة • قبل شهرين
- 4:10:56 — كتاب مسموع ... نفحة من الايمان (المجموعة القصصية كاملة) ... يوسف... — 256 مشاهدة • قبل شهرين • 100%





قناة الإرشاد السياحي في مصر

38.4 ألف مشترك

الصفحة الرئيسية | الفيديوهات | قوائم التشغيل | المنتدى | القنوات | لمحة

الفيديوهات المُحمّلة تشغيل الكل الترتيب حسب



نائب عزرائيل .. الرواية كاملة .. يوسف السباعي .. كتاب مسموع

2.8 ألف مشاهدة • قبل 4 أيام • 92%



كتاب مسموع .. نفحة من الإيمان (كاملا) .. يوسف السباعي ..

584 مشاهدة • قبل 6 أيام • 85%



المومياوات المصرية .. اعجب ما يمكن أن تشاهد أو تسمع .. !!

5.4 ألف مشاهدة • قبل أسبوعين • 95%



زيارة للجنة والنار ... مصطفى محمود .. كتاب مسموع

36 ألف مشاهدة • قبل شهر واحد • 92%



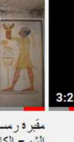
معابد جزيرة فيلة .. درة المعابد المصرية .. الشرح الكامل ل 400 مشهد بالصور

3.5 ألف مشاهدة • قبل شهر واحد • 97%



كتاب الخروج من التابوت (قصة) .. مصطفى محمود .. كتاب مسموع

28 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 91%

كتاب كلمة السر (كاملا) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

30 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 93%

مقبرة رمسيس التاسع .. وادي الملوك .. الشرح الكامل لأعجب رحلة في العالم...

61 ألف مشاهدة • قبل شهرين • 94%



كتاب مسموع 12 إمرأة - المجموعة كاملة ليوسف السباعي

2.6 ألف مشاهدة • قبل 3 أشهر • 97%



كتاب عصر القرود (النسخة الكاملة) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

51 ألف مشاهدة • قبل 3 أشهر • 95%



كتاب مسموع ساخر - فانتازيا فرعونية - محمد عفيفي

3.6 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 98%



المتحف المصري (5) كنوز الدولة الحديثة - العصر الذهبي

4.1 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 95%

كتاب الشيطان يحكم (النسخة الأصلية) - مصطفى محمود - كتاب مسموع

264 ألف مشاهدة • قبل 4 أشهر • 94%



بلاد النوبة - كتاب مسموع

1.7 ألف مشاهدة • قبل 5 أشهر • 97%



معبد حتحور بدندرة - الشرح الكامل الموثق بالرسومات و الصور

8.4 ألف مشاهدة • قبل 5 أشهر • 98%



كتاب الأهرامات المصرية (كامل) - احمد فخري - كتاب مسموع

17 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 98%

كتاب القاهرة القديمة و أحياؤها (كتاب مسموع)

4.5 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 98%

كتاب موسوعة تاريخ مصر الإسلامية (كتاب مسموع)

12 ألف مشاهدة • قبل 6 أشهر • 97%



عودة المومياء The Mummy 2001 Returns (ملخص الفيلم) - أفلام عن...

3.9 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 100%





فيلم المومياء The Mummy 1999 (ملخص الفيلم) - افلام عن مصر

5.8 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 93%






1:53:17
كتاب الشفاعة كاملا - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
19 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 96%

3:09:08
شرح معبد حتشبسوت بالدير البحري تفاصيل المناظر بالصور
15 ألف مشاهدة • قبل 7 أشهر • 96%

2:44:16
تاريخ مصر تحت حكم الرومان كاملا - فاروق القاضي (كتاب مسموع)
8.6 ألف مشاهدة • قبل 8 أشهر • 97%

2:10:26
كتاب تاريخ مصر في عصر البطالمة - إبراهيم نصحي (كتاب مسموع)
8.7 ألف مشاهدة • قبل 8 أشهر • 97%





31:26
قصر البارون الجزء الأول اللعنة
3.7 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر • 96%
ترجمة مصاحبة

13:29:39
كتاب مصر الفرعونية كامل - أحمد فخري - التاريخ المصري (كتاب مسموع)
75 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر • 97%

2:23:33
كتاب الخروج من الجسد (كتاب مسموع)
12 ألف مشاهدة • قبل 9 أشهر • 95%

1:05:52
مجموعة زوسر والهرم المدرج بسقارة - الشرح الكامل
21 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر • 97%




2:31:43
كتاب أخناتون كامل (كتاب مسموع)
14 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر • 96%

1:46:33
المتحف المصري (4) الدولة الوسطى وكنوزها بالمتحف
28 ألف مشاهدة • قبل 10 أشهر • 96%

4:24
أمنمحات الأول ولد فقيرا و عاش عظيما وقتل وحيدا
2.2 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 95%

10:33
حاملة القرابين أرشق عارضة أزياء من مصر القديمة
1 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 94%



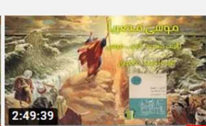



8:23
تمثال منتوحتب الثاني (صدفة أم نبوءة تحققت) من الجزء الرابع المتحف...
2.8 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 95%

2:29:29
كتاب رحلتي من الشك إلى الإيمان - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
69 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 96%

2:53:41
كتاب الله و الانسان كامل - مصطفى محمود (كتاب مسموع)
216 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 93%

2:21:40
معبد إدفو الشرح الكامل الموثق بالرسومات و الصور
14 ألف مشاهدة • قبل 11 شهرًا • 96%





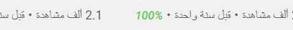
2:49:39
كتاب موسى مصريا كاملا - نظرية فرويد في التاريخ اليهودي (كتاب مسموع)
22 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 93%

1:08:39
رواية عودة مومياء (كتاب مسموع) - ألفريد هتشكوك
3.9 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 94%

1:30:50
كتاب معنى الاحلام و غرائب أخرى (كتاب مسموع)
9.6 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 94%

1:56:23
كتاب الأشباح المشاغبة وغرائب أخرى (كتاب مسموع)
10 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 95%




19:50
كتاب عجائب الدنيا و غرائب القارات - (6) - قارة أستراليا (كتاب مسموع)
987 مشاهدة • قبل سنة واحدة • 100%

32:03
كتاب عجائب الدنيا و غرائب القارات - (5) - قارة أوربا (كتاب مسموع)
908 مشاهدات • قبل سنة واحدة • 100%

40:38
كتاب عجائب الدنيا و غرائب القارات - (4) - اسيا و القارة القطبية (كتاب مسموع)
2.3 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 100%

40:22
كتاب عجائب الدنيا و غرائب القارات - (3) - أمريكا (كتاب مسموع)
2.1 ألف مشاهدة • قبل سنة واحدة • 100%

كتابك ٥٤

رئيس التحرير أنيس منصور

فتحي سعيد

شوقي أمير الشعراء... لماذا ؟



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

هذه الصفحات

« أنا نابليون الشعر » قالها بايرون
« وأنا العظيم الغريب » قالها المتنبى
« وأنا مَجْدٌ تكوَّن » قالها شوقى

ورفع كل شاعر « راية الأَنا » ما شاء ، وخلع على نفسه بقدر إحساسه بأصالته ما حلا له من خلع .

فقط عزف ونزف بصدق وحرارة حتى انقطع الوتر وانفرط العمر دون أن يشغله عن فنه شاغل .

وإنما قال كلمته وعبر . . على عكس الذين يقولون كلماتهم ويقفون . . يتقارعون على دوائر الضوء ويتعجلون الإكليل والقلادة . .

وشوقى لم يزعم لنفسه أكثر مما لديه . . بل فرح بما أوتى واغتنم ما أغدقه الله عليه من عطايا فاعتصم بالشعر عن سائر أمور الدنيا . .

ومرت السنون مروراً . . وفات أكثر من مائة عام على ميلاد شوقى ولغط به وفيه اللاغطون كثيراً ما بين ناقد وحاقد ، ومهلل ومقلل ، وقادح ومادح . وشوقى عن ذلك لاهٍ ناعم فى رقدته ، كما كان لاهياً ناعماً فى كرْمته . .

لا يُلفته من ذلك شيء إلا أنه حفر اسمه وترك بصمته ونام ملء

عيونه ، وسهر الخلق فيه واختصموا . .

وهذه الصفحات قراءات متفرقة لشوقى وآخرين لا أكثر . . لم يُتح لها من الجلد والأناة ما يرقى بها إلى مستوى الدراسة ، ولكنها حصاد انعكاسات ورؤى لما اختمر فى النفس وترسب من طواف حول شوقى وشعراء قرنه . . هى جهد المقل الذى لم يُحط بكل ما كتب ونشر عن شوقى وهو كثير.

وهى أيضا مزيج من السياحة والتجوال فى دروب الشعراء والسفر فى بحار الشعر النائية الدانية . . ودوام القرب والصلة بذلك المحبوب .

وهو عبء جميل ثقيل لا يكابده إلا من أدركته لعنة الحرفة ولا يترضَّاه إلا من ابتلاه الله بهذا العشق الأثير . .

وسلام على شوقى والشعر والشعراء . .

فتحى سعيد

شوقى . .
أمير الشعراء . . لماذا . . ؟

جاء المتنبي . . فملأ الدنيا وشغل الناس

وأغلقت مغاليق عبقر على مروج الشعر فلم تنفتح إلا بعد ألف عام تقريباً . . لتزف عرائسها لشوقى . .

فيأتى ليملأ الدنيا ويشغل الناس بدوره وليعْلو كوكبُه على كواكب عصره فيكون بذلك نذير سوء لحافظ ولسائر الحفنة المعاصرة . .

والمتنبى حين جاء أَلْهَبَ تيار الشعر العربى وغَيَّر مجراه تغييراً على قدر ما سبقه من صدى عميق لأبى تمام « ٢٣١ هـ » والبحترى « ٢٨٤ هـ » حيث بعثا فى أوصال القصيدة نبضاً فيه جدة وفيه حدة وفيه ابتكار وغموض وديباجة لغط بها اللاغطون زمناً . .

ومن ثم كان المتنبى صاحب ثورة فى الشعر والحياة معاً . . حتى ليفرد له الثعالبى فى « يتيمة الدهر » صفحات ينسب له فيها فنًّا جديداً من فنون الأداء النفسى ويرد إليه السبق فى استخدام قاموس جديد . . فى مخاطبة الملوك ، إذ يخاطب الممدوح بنفس لغة المحبوب . . وأفرد للمتنبى الكثير من الكتب والدراسات لأنه كان على حد قول طه حسين : « ناراً تضطرم

ولا تكاد تمس قلبك حتى تشيع فيه » .

وجاء شوقى على إثر ركودٍ شِعْرىّ يسبقه صدى هزيل لشعراء عاديين كالليثى والساعاتى وأبى النصر . . ولم يلمع فى الأفق الأدبى حين ذاك إلا نجم البارودى الذى رد للشعر هيبته وكان له آية أخرى كما يقول العقاد : « وهى أن الفضل الذى له على عصره أكبر من الفضل الذى لعصره عليه ، فما جاء به من عند نفسه كثير لا يقاس إليه ما يجىء من قدرة معاصريه ، وذلك وحده خليق بأن يبوئه زعامة جيله » .

ولكن البارودى يتناوله الشيخ المرصفى فى « الوسيلة الأدبية » فيسلط عليه الأضواء ، وشوقى يتناوله الخـديو فيسلط عليه الأضواء والرعاية واللقب . . فشتان بين الضوءين . . !

ولم يكن البارودى منافساً لشوقى يهدده ، فهو أسبق وأشعر وهو « صاحب مرحلة أولى . . . قفز قفزة سما بها إلى مكان الفحول » — كما يقول الدكتور هيكل فى مقدمة ديوانه — وهو فى مجال الرتبة « باشا » وفى مجال السيف فارس . . وفى شجرة النسب عريق حتى ليرشح (لولاية العهد) إبان الثورة العرابية . . فمكانته إذن محفوظة وسبقه لا نزاع فيه . . وميدانه غير ميدان شوقى . .

فالبارودى يصرخ فى وجه إسماعيل :

أيها الظـــالم فى ملكـــه
أغرَّك الملك الـــذى يفْقَـــدُ

اصنع بنا ما شئت من قسوةٍ
فالله عدل والتلاقى غدُ

وشوقى يتمسح بعرش إسماعيل ويعلن ولاءه :

أأخون إسماعيل فى أبنائه
ولقد ولدت بباب إسماعيلا ؟

فلا وجه للتنافس إذن بين شوقى والآخرين ، كما أن البارودى دلف إلى القبر عام ١٩٠٤ وعاش شوقى بعده ثمانية وعشرين عاماً منفرداً فى دوحة الشعر . . وأفرد لشوقى عشرات الكتب كما أفرد للمتنبى العظيم ، ولكن شتان ما بين الشاعرين من حياة على قدر ما بينهما من تشابه ، كما سنرى فى نهاية المقال

شوقى ونجوم عصره

ولكن – والحق يقال – لم يكن شوقى ليطمس شاعرية معاصريه : حافظ والمطران وإسماعيل صبرى وغيرهم إلا ولديه من أسباب التفوق والوثوق ما يؤهله لذلك .

دعك من سلطان القصر والصحافة وعلاقات شوقى الأرستقراطية . . فلقد كان حافظ مؤيداً بسلطة الشعب محبوباً من جماهيره قريباً منهم بمصريته وحضور بديهته وتأثير إلقائه الشعرى . . ولكن شاعرية شوقى شىء آخر غير شاعرية هؤلاء .

فشوقى على حد تعبير الزيات يستطيع : «أن يفجر لك النهر من حيث لم يستطع غيره أن يفجر الجداول ، وشوقى شاعر عبقرية وليس كحافظ شاعر قريحة يملك بها صاحبها الإبانة عن نفسه بالأسلوب الذى يقره الفن ، ويرضاه الذوق . أما العبقرية فضرب من الإلهام يستمد استمرارا تجديدا ، ومن أخص صفاتها الأصالة والإبداع والخلق » ، وشوقى كان «يخشب الشعر» كما كان يفعل جرير فينثال على سجيته وحافظ كان ينقح الشعركالفرزدق . . وشعره كما قيل : «إذا قيل لألفاظه انفرى نفرت ولم يبق منها شىء» .

ولكن خشب جرير خير من تنقيح الفرزدق ، وسيولة شوقى الشعرية

أغزر وأبدع من قريحة حافظ. ومن ثم احتفظ شوقى لنفسه بفارق المسافة وحاز السبق وساعده فى ذلك انشغال مطران بفنه الوصفى ، ومواقفه السياسية ، وانشغال إسماعيل صبرى بقوله الشعر « لنفسه لا للناس » حتى ليضيق شوقى ويفزع من مقارنة حافظ به متمثلا بهذا القول حيث لم يبق فى الأفق إلا نجم حافظ يطاوله :

ألم تر أن السيف يصغر قدره
إذا قيل إن السيف خيرٌ من العصا

وعلى قدر هذه المسافة بين شوقى وحافظ وبينه وبين سائر الشعراء المعاصرين ، ظفر بالكثير من الدراسات واللغط كما ظفر من قبل المتنبى والبحترى وأبو تمام .

شوقى إذن شاعر عظيم الفيض . . خصب الشاعرية يستوثق من فنه ويعرف سيولة شاعريته فيجيد صبَّها فِى شتى القوالب وهو كما يصفه صديقه مطران : «لا يجهد فكره ولا يكد فى معنى أو فى مبنى ، لأن المعنى يجىء على مرامه أوعلى أبعد من مرامه، ولا ينضب عنده لأنه يستخلصه من عقل فوار الذكاء ، ومعارف جامحة إلى الآداب فى لغات الإفرنج والأعراب وفلسفة الحقوق وحقائق التاريخ وغرائب السير إلى مشاركات علمية استفادها من مطالعته واتخذها عن ملحوظاته ومسموعاته فى جولاته فى بلاد الشرق والغرب» .

هذا الفيض الذى يخلو من معاناة ومضض . . ينْصبّ انصباباً فى

غنائية جزلة شفيفة فيها ديباجة العربية وطلاوة المُحْدثين، وتشى هذه الغنائية بما فيها من موسيقى دافقة أكثر مما تشى بما تتضمنه من أفكار أو مفاهيم أو تكشف عن مواقف إزاء الأشياء حوله وفلسفته لها أو تفصح عن شخصيته المتوارية وراء أسوار القصر وقوائم العرش

فهو يندفع بالموسيقى وبها . . لينتقى المرقّق من اللفظ . . ويقع على اللطائف مما يعى ويبدع ، ومن ثم ارتبط شعر شوقى بعاملى الزمان والمكان ، بحيث يتفق مع فكرة هيجل فى (فلسفة الجمال) التى تحدد المكان بارتباطه بالصور كموجودات شبه مكانية وبالزمان لارتباطه بالتاريخ . مقتربا بذلك من أرسطو «وقانون الوحدات الثلاث» : الزمان والمكان والموضوع . . وهذا ما تلمسه فى غنائيات شوقى وقصائده التاريخية ومسرحياته ، فكان بذلك مثل (جيته) أمير الشعر الغنائى . . ولكن لم يرق إلى مرتبة الشعر الملحمى كما كان عند الإغريق . وإن عالج المسرح فى عدة مسرحيات .

وقد حجبت هذه الغنائية شخصية شوقى الحقيقية ، كما أسهم فى هذا الاحتجاب توظيفه الشعر توظيفاً كاملاً لصالح الخديو . . أولتسجيل الأحداث حوله بعد أن أصبح أقوى صوت شعرى مميز . . حتى إن ناقداً كبيراً كالدكتور مندور . لا يستطيع أن يجد فى شعر شوقى ما يعينه على تخطيط صورته النفسية على نحو ما نستطيع أن نفعل مع البارودى . وحتى مدرسة الديوان . . تتهم شوقى بعدم الصدق . . . وبمحاكاة القديم

واندثار شخصيته تحت لافتة المحاكاة والتقليد ، وحتى يقول فيه طه حسين : « الواقع أنى لا أعرف لأمير الشعراء عقيدة صريحة فى الشعر وما أرى أنه قد حاول أن يكون لنفسه هذه العقيدة وما أرى أنه فكر فى الشعر إلا حين يقوله » .

على عكس العقاد الذى رأى شوقى « بلاطياً فى شعره كله ما كان منه مدحاً أو تاريخاً أو حكمة ، والبلاطى معروف برعاية السمت والعرف وإخفاء ما وراء الظواهر من حقائق نفسه » .

وشوقى . . لا يزعم أكثر مما لديه . . فهو لا يدعى أنه صاحب مذهب أو وسيلة فى الأداء والشعر . . فهو قانع بما وهبه الله من نعمة الشعر . ونعمة القصر ، فيقرر منهجه الشعرى وهو فى الثلاثين فى مقدمة ديوانه فى ركاكة وسذاجة لا تحس من خلالها بجهد فى عرض مذهبه أو استقصاء وغوص فى مفهوم الشعر أو تطويره ، فالشعر لديه « لا يخرج عن كونه إخباراً وحكمة » وقواعده لا تخرج عن هذه الخطوات التى يسجلها فى مقدمة ديوانه الأول طبعة ١٨٩٨ :

- « ثقة الإنسان من كون الشعر فى طباعه »
- « أخذ العلوم وتناول التجارب »

« ألا يتخذ الشعر حِلْيَة على عطل من سائر أمور الدنيا »

فالرجل من هذه الناحية . . لا يخرج عن السلفية ولا يتطلع إلى إحداث ثورة أو انقلاب كما صنع الشعراء العظام أمثال المتنبى وأبى

العلاء . . ولا يردد أكثر مما ردده أبو هلال العسكرى فى الصناعتين وابن رشيق فى العمدة ، وابن الأثير فى المثل السائر ، والجرجانى فى أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وسائر جمهرة النقاد دعاة الفلسفة الجمالية مما قرأ واستوعب . . دون ادعاء منه بجديد سوى إعلان انتمائه للشعر وجعله « اليتيمة القعساء » على حد قوله

فعلى قدر شاعرية شوقى لم يكن لديه تلك الشرارة المقدسة التى احترق بها الشعراء وجعلتهم ينطحون السحاب ويعودون باللهب فوق أطراف الأنامل ، أو على الأقل لا تلمس فيه وهج الثالوث المقدس الذى كاد « يفنيه » كما يقول ، وهوهيجو ولامرتين ودى موسيه رواد التجديد والثورة .

كل ما لديه طاقة شعرية باهرة هدفه أن يفجرها فى أمن وسلام وحسْب .

شاعر العزيز والمخطط الشعرى

شوقى شاعر طموح ذكى . . عرف موقع قدميه من الشعر . . وعرف موقع شعره من القصر ، فوضع مخططاً شعريًّا له منذ البداية وحققه حتى النهاية . . أعانه على ذلك وفرة الوقت ولين الحياة ، فأفرغ طاقته الشعرية كلها بعد أن دعمها بالكثير ليثبت لقبه :

شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب
لو مدحتكُمْ زمنى لم أقم بما يجبِ

وهو لا يكد كدًّا وراء تقصى شاعريته ووضع مخططه ، فكلاهما واضح أمام عينيه ويعترف بذلك اعترافاً فى مقدمة ديوانه فيقول :

« إنى افترعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم ، ولا أجد أمامى غير دواوين للموتى ، لا مظهر للشعر فيها ، وقصائد للأحياء يحْذُون فيها حذْو القدماء » لم ينبه هذا شوقى إلى حاجة الشعر لثورة وتجديد بل نبهه لشىء آخر تماماً هاما يذكره فى باقى سطور مقدمته :

« والقوم فى مصر لا يعرفون من الشعر إلا ماكان مدْحاً فى مقام عالٍ ولا يرون غير شاعر الخديو صاحب المقام الأسمى فى البلاد ، فما زلت أتمنى هذه المنزلة وأسمو إليها على درج الإخلاص فى حب صناعتى وإتقانها وقدر الإمكان حتى وفقت بفضل الله »

وكأن موهبة شوقى الحقيقية لا تكمن فى الشعر وإنما فى «المقام الأسمى» الذى يصبو إليه . . أو أن هذا المقام هو المحكّ الذى أطلق شاعرية شوقى . . فما يقرؤه من دواوين للموتى وللأحياء «لا مظهر للشعر فيها» وهذا أدْعى له كشاعر عظيم . . أن يزلزل كيان الشعر ويهز منبره هزًّا ليأتى بجديد ! ! بدلاً من أن يعلن :

والشعر عندى ما يكون لَذاذة
لا فى الجديد ولا القديم العادى

ولكنه لا يعنى بذلك قدر ما يعنى بالمقام الأسمى . . فاختصر الطريق ودمغ «القوم فى مصر» بحكم نشك فى صحته كثيراً . . وهو «عدم معرفتهم بالشعر إلا ماكان مدحاً فى مقام عال» يناقض ذلك سَرَيان قصائد البارودى فى محافل الأدب . . ويناقضه أيضاً ما صحب عصر البارودى من إرساء لدعائم نهضة جديدة شاملة هبت نسائمها على يد الأفغانى ومحمد عبده والنديم والكواكبى وسائر رعيل النهضة .

المهم . . أن شوقى طرح القضية على هواه . . وأقام حكما . . وقرر أن يبدأ رحلته الشعرية مستهدفا هذه «المنزلة» . . فهو لا يتوارى ولا يزيف ، ويعلن منذ البداية الجانب الذى يقف فيه ، ولا عليه إلا أن يضع مخططه موضع التنفيذ . . وأن يتزود للقب والمنزلة . . بتدعيم شاعريته وصقلها وتخصيبها بمختلف القراءات والثقافات ومجالات الإبداع الأخرى . . فالطريق ممهدة محروثة أمامه . . والخديو «يتبناه» تقريباً منذ حصوله على

الشهادة العالية ويلحقه بمعيته ويبعثه إلى فرنسا . . وينفحه مائة جنيه ساعة سفره قائلاً :

«لا حاجة بك منذ اليوم إلى أهلك فلا تعنتهم بطلب النقود وأعنت أباك هذا الغنى» — أى الخديو.

وينطلق شوقى بلا عقبات ويطوف بالخارج ويغذى شاعريته ويجوس فى عوالم الشعر ويجول ويصول ويعارض البحترى والمتنبى وابن زيدون وأبا تمام والبوصيرى . ويرتشف من رحيق الشريف الرضى ومهيار وبشار وأبى نواس والبهاء زهير. كما ارتشف فى الخارج من رحيق الآداب الفرنسية وأولع خاصة كما ذكرنا بهوجو ورفاقه المجددين . .

ويلقى بشباكه فتعود بالصيد الوافر والزمام بيده لا يفلته ولا يتلفت عنه ، وإنما يستغرقه الشعر تماماً . . ويستحوذ عليه «مخططه» ويتقلب فى مهاد الترف وقد ضمن مستقبله وأمن حياته ، فتحس بروحه على قدر التحامها بأرواح الكثيرين من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموى والعباسى والأندلسى . . تحس بها مستقلة الملامح طلقة الأسارير عالية النبرة حتى ليرى أنه الصوت الحق ، برغم الأصوات التى ارتفعت قبله بنفس المعانى وأعلاها صوت المتنبى :

وَدَعْ كل صوت غير صوتى فإننى
أنا الصائح المَحْكىّ والآخر الصدى

وما الدهر إلا من رواة قصائدى
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

تحس بهذه الروح تترقرق بين أعطاف القصيد تحمل ملامحها دون عُدْوانٍ عليها فلا يسعك إلا أن تعجب رغماً عنك . . بهذا الصياد الماهر الذى يستخرج الدر من بحور الشعراء . . ويصْهر صيده كله فى لؤلؤة واحدة من صنع يديه . . فكأنه عند قول جوته :

« فى كل فن تجد صلة نسب ، وإذا رأيت فنانا كبيراً فلابد أنه وعى أحسن ما عند أسلافه وهذا هو الذى جعله عظيما . . »

وتحت ثقل شاعرية شوقى وإلحاحها على اقتناص المعانى لدرجة الاستئثار بها دون غيره . . تجعله لا يحسب حساباً لذلك . . وينتزع المعنى من صاحبه وكأنما يستعظمه عليه . . أو كأنما لا يرضى عن أسلوب صياغته فيجلوه هو فى صوغ جديد ، كما فعل مع البحترى وغيره . وكأنما يتصدى لهم مبارزاً بسنان المطالع والمقاطع وأطراف القوافى .

يقول البحترى :

رقَّ لى من مدامعٍ ليس ترقا
وأكفَّ جنبى خافقا ليس يهدا

فيقول شوقى :

واكف جفنَّى دافقا ليس يرقا
وارّث لى من جوانحٍ ليس تهدا

وهو لا يتورع عن أخذ شطر بأكمله من ابن المنذر حين يقول :

فدخلت في فرعين فرعك والدجى

وشمسين من خمر وخد حبيبِ

وفى صورة ثانية . . يستولى على المعنى برمته ويصوغه فى ثوب أجمل ، فالشاعر القديم يقول :

إنما الأمم الأخلاق ما حلمت

فإنْ هُمُو فسدت أخلاقهم فسدوا

ويسلخه شوقى قائلا :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فــإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد يجيء ذلك معموداً من شوقى أو يجيء استسقاء لكثرة ما امتلأ وعاؤه ونهل وعبَّ فيتسرب المعنى من مخبوء شعوره ليندس بين طيات شعره حاملاً ملامحه هو واشياً بتفوقه واقتداره .

وشوقى كشاعر طموح فى مخططه الشعرى . . المنزلة الكبرى . . يديم البحث عن موضوعات جديدة لشعره . . عن عوالم يطرقها ويسبق إليها . فلقد أطال النظر فى التراث جميعه وأوغل الحفر حتى عرف خبايا الفن والصنعة وهو غير مهموم بأمور الحياة أو مطحون فى دوامتها ، ولم تكن هذه الحياة « حلما مزعجا من غير نوم » كحياة حافظ . . بل كانت نوماً حالماً من غير إزعاج . فليقرع إذَنْ أبواباً أخرى يحتفظ لنفسه بارتياد

ما وراءها . . بمسافة السبق بينه وبين الآخرين ويعمق بها فى نفس الوقت جدارته باللقب والرضا الخديوى . . فهو يلج أبواب النثر فيجارى الزمخشرى فى أطواقه فيخرج على الناس «أسواق الذهب» تحفة نثرية كاملة يغلب عليها الشعر حتى لتجىء جمل نثرية مجزوءاً صحيحاً من الشعر بعد تعديل قليل ، فهو يخاطب الأهرام بقوله :

ما أنت يا أهرام شواهقٌ أجرام ؟

وتبتجلى هذه الشاعرية فى النثر فى أغلب مقطوعات الكتاب كالمال ، والجندى المجهول ، وقناة السويس . . إيمانا منه كما ذكر فى كتابه «بان السجع شعر العربية الثانى» ويقرع أبواباً أخرى مثل ما فعل لامرتين ولافونتين فيكتب قصصاً للأطفال ويكتب الكثير عن الحيوان والطير بعذوبة وجمال فائقين ، فيضيف بارتياده هذا اللون من فن القول ميزة أخرى على أقرانه ثم يلج شوقى . . أبواب المسرح . . كما فعل شكسبير وفولتير وموليير ، فتفتح له وتصدر مسرحياته الست المطبوعة : مجنون ليلى ، وعنترة ، وكليوباترة . . وقمبيز ، وعلى بك الكبير ، والست هدى – عدا ثلاث أخرى ، عذراء الهند ، لادياس ، ورقة الآس» وهى مسرحيات نثرية أغفلت تقريبا عن التصدى لدراسة مسرح شوقى الشعرى . . واعتمد فيها على السجع الذى هو «شعر العربية الثانى» عنده وارسال بعض الأشعار الركيكة على لسان أصحابها ، كما جاء على لسان لادياس :

كنت حراً صرت عبـــــداً
كنت عَمْراً صرت زَيْـــــداً

وهو فى مسرحياته الشعرية شاعر أكثر منه رجل مسرح . . تغلبه طبيعة الشاعر أكثر مما تشده طبيعة رجل المهنة . فلم يحاول أن يكون مسرحيًّا بمعنى الكلمة أو مسرحيًّا وشاعراً معاً كشكسبير ، وترك لشاعريته الحبل فامتد طوال مسرحياته ، فكان شاعراً رومانسيًّا أفاض فى انفعالاته وتهويماته وانساب فى غنائيته وكان شاعراً كلاسيكيًّا فى نفس الوقت حين حافظ على الشكل واستغل عُقَدَ الصراع بين متعارضين معتليا منبر الخطابة الذى هو خشبة المسرح ليهز سيف عنترة أو ليفجر أسى قيْس ، أو ليشعل شبق كليوباترة بحيث يمكن استقطاع قصائد كاملة من مسرحياته لتكون شعراً غنائيًّا يروى ويغنى .

« وكان من أهم ما وجه إلى شوقى من نقد أنه استخدم أوزان الشعر الغنائى وقوافيه ورواسبه اللفظية والخيالية ، وأطال فى الحوار ببعض المواضع حتى خرج عن وظيفته المسرحية »

فلم يحفل شوقى بقواعد المسرح كثيراً وغلبه الشعر على أمره واكتفى مما شاهده فى بعثته بباريس من مسرحيات موليير وكورينى وراسين ، ولكنه بلا شك . . كان له السبق فى ارتياد حقل المسرح كفن جديد عَزَّزَ به شاعريته ولقبه وتوج به سنواته الأخيرة

شوقي والخطط السياسي

لم يكن لشوقي طاقة على حمل مالا يدخل في الشعر . . ومن ثم لم يمتط صهوة شعره في حلبة السياسة فيروى رُمْحه كما فعل المتنبي والبارودي .

فلقد كانت طاقة شوقي الشعرية مركَّزة تماماً وبوعْي وتخطيط في الشعر فحسْب ، أما صراعه السياسي أو ولاؤه السياسي بمعنى أدق . . فلقد كان نابعاً من عنصر الانتماء لا من عنصر الاستقلال والرأي . . مجنباً نفسه بلاء المكابدة والتهلكة ومزالق السياسة التي تثقل مثل كاهله الرقيق ، الأمر الذي انزلق إليه حافظ إبان الوظيفة حفاظاً لها فأفلت من يده زمام تفوقه الجماهيري الذي انفرد به دون شوقي

ومن ثم قنع شوقي بالانتماء للقصر وبأن يكون لسان حاله ولسان حزبه ومنتهى أمل العزيز وفروع دوحته من بعده :

لا والكتـــاب وذمـــة العرب
مـــــــــالي سواك يُنيلني أربي
انت العزيز وبـــاب سدّتـــه
مَرْمَى الرجـــاء ووجهـــة الطلبِ

وهو يذكرك . . فوراً بقول أبى نواس للخصيب برغم اختلاف القافية :

أنت الخصيب وهـــــذه مصرُ
فَتَـــــــدَفَّقَـــــــا فكلاكما بحرُ

وبالتالى يترنم شوقى « للعرش العثمانى » فى الآستانة الذى ينتمى إليه العرش الخديوى فى القاهرة . . وهو لا يكتشف ذلك فجأة أوْ مِنْ خلال نمو تجاربه . . أو تراكم الأحداث حوله ودفعها إياه ليتخذ موقفا . بل يفطن إليه منذ البداية وينظر إليه بعين الاعتبار وهو يضع مخططه الشعرى . . فيهدى ديوانه إلى الاثنين معا صاحب العرش المصرى وصاحب العرش الآستانى : « مولانا أمير المؤمنين عبد الحميد الثانى أيده الله » :

سلام الله لا أَرْضَى سلامـى
فكـــل تحيـــة دون المقـــامِ
أحب خليفـــة الرحمـن جهـدى
وحب الله فى حب الأنـــامِ

وهو يذكرك بهذا البيت الذى يذوب خفة وظرفا برغم اختلاف علامات الإعراب :

سلام الله يـــــا مطرٌ عليها
وليس عليك يا مطر السلامُ

ثم إلى مولانا الخديو عباس حلمى الثانى :

إلى ابن محمد أهدى كتابى
وقد يهدى القليل إلى الكريم
فكنه يابن توفيق فإنى
فخيم الظن فى الجاه الفخيم

لم يدخل شوقى المعترك السياسى إذَنْ كما دخله البارودى ومطران والعقاد والرصافى والزهاوى ، مدخرا بذلك جهده وطاقته . وما كان شوقى ليظفر من وراء السياسة بمثل ما ظفر به من وراء الشعر . . حتى قصة نفيه للأندلس تحس فيها برومانتيكية أكثر مما تحس فيها بالمأساوية . . تشعرك بلذة التجوال أكثر مما تشعرك بعذاب النفى - بل لم يخض غمار أية حرب كما خاض المتنبى وأبو تمام معترك حروب كثيرة لسيف الدولة والمعتصم ، وكما خاض البارودى الذى نفى لسرنديب النائية الموحشة ومكث بها سبعة عشر عاما ، حتى فقد البصر وأنهكته الشيخوخة والوحدة . ولم تدعْ صولة الحوادث منه غير أشلاء همة فى ثياب » .

ولسان حاله يقول :

لم أقترف زلة تقضى على بما
أصبحت فيه فماذا الويل والحربُ ؟
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به ظلما وأغترب ! ؟

والمتنبى نُفى بقاعِ السجن ونكل به .. أما شوقى فنفى إلى الأندلس . . وكأنما أوفده الخديو فى بعثة جديدة كبعثته إلى باريس وسويسرا ليروح عن نفسه ويجيل البصر. فجاءت أشعار منفاه موشاة بغنائية عذبة لا تنبعث من إحساس قاتم بالنفى أو السجن وإنما تنبعث من إحساس مرصع بالحنين الشجى ، ولم تستغرق فترة النفى خلال الحرب العالمية الأولى - حين أنهى الإنجليز حكم عباس حلمى الثانى - مدة خمس سنوات. من حياة شوقى قضاها بأسرته ومكتبته . . واستوعب فيها ما لم يستوعبه من قبل . . فكأنها نزهة فكرية عاد بعدها موفور العافية والشاعرية متوجا بإكليل النفى بغض النظر عن تحليل الأسباب السياسية لهذا النفى الذى شمل الخديو وشاعره معا . .

وحتى صداقات شوقى السياسية لم تقم على وشائج مذهبية ولم تنم عن حصاد مذهبى أو فكرى . . بل هى صداقات مترفة تدور فى أبهاء القصر أو فى امتداد هذه الأبهاء خارج القصر . . وهى صداقات يغلب عليها طابع الرفقة والمعاصرة ، أكثر مما يغلب عليها طابع الفكر أو الصراع السياسى فيرتبط شوقى بمصطفى كامل ارتباطا عاطفيا يُعَمقه تقارب السن لدى الاثنين . . وترف المنبت ، بل تؤكدها رومانسية مشتركة لدى كليهما : الرومانسية الشعرية لدى شوقى ، ورومانسية العاطفة الوطنية لدى مصطفى كامل ، فينال شوقى بهذه الصداقة وهو ليس عضوا بالحزب الوطنى مكانا بارزا فى « لواء » مصطفى كامل الذى يحتفى بشعره على صفحات جريدته

اللواء ويصفه بأنه : « الغدير الصافى فى لفائف الغاب يسقى الأرض ولا يبصره الناظرون » .

وتنتهى هذه الصداقة بموت مصطفى كامل . . ويجىء فريد فيكيل لشوقى الشتائم ويهاجمه فى وطنيته التى يدافع عنها شوقى دفاعا بلاغيا فقط :

« وطنيتى هتف بها البدو وتغنى بها الحضر وتَجَاوَزَت الأعاجِمَ من ترك وفرس ، فهى معلقة على جدران قصورهم ودورهم يقرؤها هناك القارئون » .

وكما أعلن شوقى مخططه الشعرى من قبل دون مواربة . . يعلن هنا مخططه الوطنى دون مواربة كذلك . . فوطنيته هى قصائده . . وأية قصائد ؟ القصائد التى تعلق على قصور يَلْدِز وسلاطين آل عثمان والتى يقرؤها ويتغنى بها الناس !

الشعر هو إذن وطنه . . من وجهة نظره فى الوطنية . . وشاعر القصر هو لقبه ، وسلام على كل ما عدا ذلك ! وهو يرى فى توفيق ما كان يراه حسان بن ثابت :

سلام على الباب الخديوى من فتى
رأى تحت وافى ظله كل نعمة
تَبيَّنتُ عن قرب صفات محمد
تَبَيُّن حسان خلال النبوَّةِ

واستمرار لهذا المخطط السياسى . . وانطلاقا من نقطة طموحه كشاعر للقصر ، يحرص شوقى تماما على كبح جماح شاعريته وانتقاء موضوعاته الشعرية . فهو يهجو عرابيا بل يتهمه بالخيانة ، وقد هز وجدان مصر بوقفته الشهيرة ، إرضاء للقصر لا للشعر :

صغارٌ فى الذهاب وفى الإياب
أهـذا كـل شأنك يـا عرابى
عفـا عنك الأبـاعـد والأدانى
فمن يعفو عن الوطن المصاب ! ؟

وهو يختار موضوعات مسرحياته بما لا يغضب ولى النعم أوجناب السلطان الأكبر . . فكليوباترة سليلة البطالمة وليست بنت مصر ، وقمبيز محتل كسروى لم يلق مقاومة لبغى فرعون مصر فعاث فى البلاد .

وعلى بك الكبير مملوك تآمر ضد السلطان وانتهز انشغال الترك مع الروسيا فى الحرب ليجر وراءه مصر لتؤيده فى السلطان حتى يبرز له أبو الذهب . . وهى مسرحيات مستوحاة من التاريخ بحذر ولا تتعرض للسلطان فى شىء . . ولا تطرح قضايا فكرية أو سياسية بعينها ولا تحمل همزا أو لمزا لأحد أو تساند رأيا وتجهر بموقف . . كما فعل موليير وشكسبير وفولتير . بل لقد « تفكه الجناب العالى بقراءتها ودعا له بالمزيد من النجاح » كما كتب له رشدى باشا وهو فى باريس .

وإن كان شوقى قد تورط فى انتمائه للقصر تورطا لو اعتبرناه عفويا

بادئ الأمر . . فقد أصبح مدروسا بعد ذلك . . وهو تورط كان الغنم فيه أكثر من الغرم . . فإنه حرص فيما بعد ألا يتورط علانية فيما لا يغنم منه كثيرا ، فكتب الكثير من القصائد التسجيلية فى حوادث العصر أو مدح ورثاء وتهانى نفر من أصحاب الرتب والحُظوة ، ورصد خطى الخديو فى سفره وصومه وحجه وإقبال أعياده . استغرقت ديوانه الثالث والرابع ، فقد تجلى حرصه فى عدم نشر ديوانيه هذين خلال حياته فينشران بعد موته . . وإن نشر ذلك برمته فى الجزء الأول الذى يضم قصائده ما بين عامى ١٨٨٨ - ١٨٩٨ طبعة - الآداب والمؤيد سنة ١٨٩٨ .

بل تمتد يد شوقى إلى أشعار المديح والرثاء وما شابه ، فيثبت أبياته الغزلية ويبترها عن سائر أعضاء القصيدة ، وكأنها قصائد غزل مستقلة ونشرها «كأنها نظم أصيل» فى فن القول ، على عكس ما طمح إليه شوقى أول الأمر وهو إثبات المدح وإسقاط الغزل . . الأمر الذى طلبه من الشيخ عبد الكريم سلمان محرر الجريدة الرسمية :

فاندفعت القصيدة إليه «خدعوها بقولهم حسناء» وطلبت منه أن يسقط الغزل وينشر المدح ، فود الشيخ لو أسقط المديح ونشر الغزل . . ولم ينشر القصيدة برمتها ، الأمر الذى فعله شوقى بعد ذلك ، فأثبت الغزل دون المديح وتغنى به المطربون . .

شوقى والملوكية . . ومعارضة الآخرين . .

شوقى شاعر محظوظ بقدر ما هو شاعر موهوب . . ولد فى مهد الذهب وعولج ببدراته مما لا يُصْرف إلا من خزائن الملوك ! وهو موغل الصلة بالقصر منذ جده الذى عمل فى معية سعيد . . وجده لوالدته الذى عمل فى معية إبراهيم ، وكانت جدته تدخل به وهو فى الثالثة من عمره على إسماعيل وكأنه أحد أبناء الدوحة الملكية المقيمين بالقصر .

ويذكرنا شوقى بطبقة الملوك أو من تربوا فى كنفهم من الشعراء . فهو ليس مَلكاً كالملك الضليل ولا أميرا كأبى فراس . . ولكنه علاوة على حضانة الملوك وخدْر القصر يتمتع بكثير من ملامح الملوكية . . بما ينحدر إليه من دم تركى . . وما صاحب نشأته من رفاهية . . وملامحه من رقة وحسن . . فهو على حد قوله : « عربى تركى يونانى جركسى . . أصول أربعة فى فرع مُجتمعة وبرقته وكرمه وبرتبته بل فى طريقة نظمه للشعر التى يصفها صديقه خليل مطران :

« فهو يغمغم غمغمة تشبه النغم الصادر من غور بعيد ، ثم ترى ناظريه وقد برقا وتواترت فيهما حركة المحجرين ويد تمر على الجبين إمراراً خفيفا » .

فهو ملوكى بطبعه ونشأته وبنسجه على منوال ربائب الملوك أو تقليدهم والانجذاب إليهم . . فهو يذكرنا بابن سناء الملك « ٦٠٨ هـ » ربيب

القصور أكثر مما يذكرنا بابن المعتز سليل الخلافة . .

فابن سناء الملك مصرى كشوقى . . محظوظ مثله . . أبوه كبير فى بلاط صلاح الدين وراعيه الأكبر أو «خديويه» هو القاضى الفاضل الوزير الكاتب ذو النفوذ الخطير . .

فأغدق عليه ونبه إليه وكان عند قول ابن سناء الملك فى نصوص الفصول :

«كثَّر قليلى وسمَّن هزيلى وفخَّم ضئيلى» فكان ابن سناء الملك «القاضى السعيد» حقا كما وصفوه . . كما كان شوقى الشاعر السعيد كذلك . . وكلاهما تقلب بين أرائك الترف . . وغمس قلمه فى محبرة المديح ، وكلاهما أسره المتنبى وشده إليه كما أسر كليهما الشريف الرضى . . وكلاهما يغلب على ديوانهما المدح . . ومن نبعة الترف وليان العود والحياة أطالا العُكوف على ديوان الشعر العربى . . وكما كان شوقى مولعا بالمتنبى لدرجة النسج على قصائده وإعادة صياغة معانيه كان ابن سناء الملك كذلك .

يقول المتنبى :

اذا ضربت فى الحرب بالسَيف كفه
تبينت أن السيف بالكف يضربُ

ويقول شوقى :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلبُ
وينصر دين الله أيان تضربُ

ويقول ابن سناء الملك :

فلا تحسبوا بالكف جُرِّد نصله
ولكنه قد جُرِّد الكفُّ بالنصل

ويقول الشريف الرضى :

يا ظبية الْبان ترعى فى خمائلها
ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

ويقول ابن سناء :

يا منية القلب لولا أن يُقال سلا
لقلت ماكنت أعصى القول لولاك

وإذا تتبعنا جذور السطو الملكى (إذا صح التعبير) بحكم المعايشة والمناخ الواحدين لدى شاعرى القصر فى كل من العصر الأيوبى والعصر العلوى لوجدنا الكثير. . بل لوجدنا أوجه شبه كثيرة . . من حيث تأثرهما بشعراء آخرين . . وسلوكهما مسلكا شعريا واحدا . . فكلاهما . . عدا تأثرهما بالمتنبي بصفة خاصة تأثرا بشعراء آخرين كأبى نواس وبشار والبحترى وأبى تمام.

ويلفت النظر . . أن جمهرة الشعراء الذين يعجب بهم شوقى تكاد تتمركز فى العصر العباسى أزهى عصور الملوكية بصفة خاصة . . على عكس ما يلفت النظر إعجابه بالشعر الجاهلى (وإن كان قد وقف عنده كثيرا) أو تأثره بالشعراء العقلانيين أو ذوى الفكر المعقد كابن الرومى وأبى

العلاء (وإن رأى فى المتنبى «صاحب اللواء») . . لأن روح شوقى المترفة . لا تقوى على قيظ البادية وجهامة أهليها . . ولا تلائم جسده الرقيق وطاقته الناعمة متاهات الفلسفة والتشاؤم بقدر ما تناسب فارسا فحلا كالبارودى . . أو شاعراً ضابطاً بائسا كحافظ . . أو بدويا . . خالصا كمحمد عبدالمطلب ، وترف روح شوقى على حوض العباسيين حيث الخلافة فى أوجها . . وحيث حشو الفم بالجواهر . . وحيث الخمر والغناء والقيان وكل ما يشعل حسه المرهف ويفتن ذوقه الرقيق ، ومن ثم فهو يعجب بشعراء هذا العصر أيما إعجاب .

ويقفز بإعجابه هذا إلى العصر الأندلسى . . يفتتن بابن زيدون افتتانا دون سائر شعراء العصر كابن هانئ الأندلسى . . الذى توجوه على ابن زيدون حتى ليعتبره ابن خلكان (فى وفيات الأعيان) «كالمتنبى عند المشارقة» ولكنه لا يعدل بابن زيدون أحدا . . ولم يكن ثمة عبء على شوقى . . كالذى حمله ابن زيدون من حيث مجالدته الشعراء والعلماء الذين زخر بهم عصره كابن حزْم والمعتمد بن عباد ومن حيث التيارات السياسية التى تلاطمته . . حتى يلقى به فى قاع السجن بعد أن تربع ذروة المناصب . . وشوقى لم يلق من ذلك شيئا !

وهو يفضل البهاء زهير التفضيل الذى «لو اجتمع ألف شاعر يعززهم ألف ناثر على أن يحلوا شعر البهاء أو يأتوا بنثر فى سهولته لانصرفوا عنه وهو

كما هو لأنه سد من ضحك فى القول وبكى ، وأفصح من عتب على الاحبة واشتكى . . » .

بالرغم من أن البهاء زهير لم يكن فتى عصره فى الشعر فقد زخر العصر بشعراء كبار مثل ابن الفارض « ٦٣٤ هـ » وابن مطروح « ٦٤٩ هـ » وابن قلاقس « ٥٦٧ هـ » وأسامة بن منقذ « ٥٨٤ هـ » .

هذه النماذج التى كانت تأسر شوقى . . تميزت برقة طبع وقدر كبير من سماء الملوك ومخالطتهم . . ومن ثم تجد تأثر شوقى بابن زيدون واضحا فى قصائده التى عارضه أو قلده أو أخذ عنه فيها كما فى نُونيته الشهيرة :

أضحى التنائى بديلا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فيقول شوقى فى أندلسيته :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا
نشجى لواديك أم نأسى لوادينا

ويقول ابن زيدون :

فتكات طرفك أم سيوف أبيكِ
لا أنت راحمـــة ولا أهلوكِ
يا بنت ذى البرْد الطويل نِجادُهُ
أكذا يجوز الحكم فى ناديك ؟

ويقول شوقى فى باريس :

جهـد الصبـابـة مـا أكـابـد فيك
لو كان ما قد ذقته يكفيكِ
يا بنت مخضوب الصوارم والقنا
برئت بنانك من سلاح أبيكِ

ويقول ابن زيدون :

ودع الصبر محب ودعكْ
ذائع من سره ما استودعكْ

فيقول شوقى :

رُدت الروح على المضنى معكْ
أحسن الأيـــــام يـوم أرجعكْ

ولم يقف تأثر شوقى عند البهاء زهير وابن سناء الملك وابن زيدون وغيرهم ممن تنسموا نسائم الترف والملوكية . . بل تعداه إلى أمهات القصائـــد العربيـــة الشهيرة ، فنسج على منوالها محاولا أن يبرز أصحـــابها ، ومستهدفا فى نفس الوقت ضمان رواجها رواجا يسانده شهرتها القديمة وتراكمها فى الوجدان الثقافى دهرا طويلا . بل يضمن لها كذلك أن تفتح باب النقاش والمقارنة على مصراعيه . فيأتى شوقى ليحركها من مرقدها فى أفئدة الناس . . وينهج على نهجها بعد أن يجيد اختيار موضوعه . . فما أسرع ما تسرى بين الناس . . وتحقق ما استهدفه من قبل وتُدرجه درج الموازنة بينه وبين الفحول .

١

ذكاء شوقى فى معارضاته

ولأن شوقى صاحب قريحة وذكاء فهو لا يجد فرصة أسنح عندما يكتب همزيته وميميته فى مدح الرسول من أن ينهج نهج البوصيرى وزنا وقافية لتشد الأنظار إليها ولتسرى على الألسنة بما فيها من غرائب اللفظ كما سرت بردة البوصيرى من قبل وهو يرفعها إلى : « مولاه الحاج عباس حلمى الثانى تذكارا لحجته كلما تنقل الناس أخبارها » بعد أن يقدم لها المويلحى ويشرحها الشيخ سليم البشرى شيخ الأزهر شرحا وافيا شافيا ، فتحاط منذ البداية بسياج مكين يكفل له الانتشار والنجاح ، ويتجلى ذكاء شوقى عن الإمام البوصيرى حين يفطن إلى تشابه اسمه باسم أحمد الرسول (ﷺ) مع أن البوصيرى لم يلتفت لذلك ، واسمه كما ذكر المؤرخون : الإمام محمد بن سعيد حماد ، فيهتف شوقى مستغلا فضل التسمى غابطا صاحب البردة على سبقه إياه :

يا أحمد الخير لى جاه بتسميتى
وكيف لا يتسامى بالرسول سمى

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء فى القدم

وفى الأندلس يختار سينية البحترى الشهيرة :

صنت نفسى عما يـــدنس نفسى
وترفعت عن نـــدى كـــل جبس

فيقول شوقى ناسجا على المنوال :

اختلاف النهار والليـــل ينسىِ
اذْكرا لى الصبـــا وأيـــام أُنسىِ

ويختار قصيدة ابن سيناء الشهيرة فى النفس :

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقـــاءُ ذات تعززٍ وتمنـــعِ
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهى التى سفرت ولم تتبرقعِ

فيقول شوقى مقلدا ومختصرا البيتين فى بيت واحد وهو المطلع :

ضُمِّى قناعك يا سعاد أو ارفعى
هــذى المحاسن مــا خلقـن لبرقـع

وشوقى يسجل هذا عند معارضته لهذه القصائد الشهيرة ويكتب لبعضها المقدمات مبررا ذلك . . وهو يسجلها لأنه يعرف موقعها وشهرتها لدى الناس . . ولكنه لا يتبع نفس الأسلوب . أسلوب التنبيه إلى ذلك فى سائر قصائده التى قلد بها أو نظر فيها لأنها لا تحمل من الشهرة قدراً كبيراً ، كما أنها لا تعنى المعارضة بمفهومها الدقيق بقدر ما تعنى التأثر أو

التداعى ولقد شاعت روح المتنبي والبحترى والبهاء زهير إلى حد كبير فى قصائد شوقى ، ويبدو ذلك واضحا فى اختياره لنفس الوزن والقافية أو فى تضمينه أو استعارته بعض المعانى منهم :

يقول المتنبى فى مدح كافور :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والهجر أعجب

يقول شوقى فى الحرب العثمانية مهنئاً «السلطان الأحمر» :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب
ويُنصر دين الله أيان تضربُ

ويقول المتنبى فى مدح كافور :

أود من الأيام ما لا توده
ويفتك فيها مُسرفاً وهى جنده

ويقول شوقى فى الخديوى :

يود من الأرواح مالا توده
وأشكو إليها بيننا وهى جنده

ويقول المتنبى :

بأبى الشموس الجانحات غواربا
اللابسات من الجديد جلالبا

ويقول شوقى :

بـأبى وروحى النـاعمات الغيـدا
النـاسجـات من اليتيم نضيـدا

واضح أن عملية التداعى مرتبطة أكثر بين شوقى والمتنبى أو كما يقول اللغويون «وقوع الحافر على الحافر» وهى فى الحقيقة تكاد تصل إلى حد السطو أو التأثر الشديد بالمتنبي لدرجة النسج على المنوال

ولم يترك شوقى البحترى ولا أبا تمام ولا أبا نواس ، دون أن ينسج على منوال قصائدهم الشهيرة ، فهو يعارض أبا تمام فى قصيدته الشهيرة :

السيف أصدق أنباءً من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعبِ

فيقول شوقى :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب
يا خالد الترك جدد خالد العرب

كما يأخذ من البحترى أرق غزله :

أيها العاتب الذى ليس يرْضى
نم هنيئا فلست أطعم غمضا

فيقول شوقى :

أيها المنتحى بـــأسوان دارا
كـــالثريـــا تريـــد أن تنقضا

ويأخذ من الحسن الأنبارى مرثيته الشهيرة فى أبى طاهر :

علو فى الحيـــاة وفى الممات
لحق أنت إحـــدى المعجزات

فيقول شوقى :

خلقنـــا للحيـــاة وللمات
ومـن هـــذيـن كـــل الحادثـــات

ويعرج على أبى نواس فيقلده فى قصيدته :

حـــامـــل الهوى تعب
يستخفـــــــــــــه الطرب

فيقول شوقى :

حف كأسها الحبب فهى فضة ذهب

ولا يترك الحصرى دون أن ينسج على داليته الشهيرة «يا ليل الصب متى غده» قصيدته المغناة «مضناك جفاه مرقده» وهكذا صال وجال شوقى فى ديوان الشعر العربى حتى ليصفه الزيات بأنه مزيج من ذلك كله . فهو :

«نواسى فى مزحه ولهوه ، بحترى فى ديباجته وزهوه ، متنبى فى دقة معناه ، وغموض عبارته ، معرىٌّ فى مرارة نقده وبعد إشارته» .

وتقليد شوقى لأمهات القصائد ولغيرها لا ينبع من قصور فى شاعريته بقدر ما ينبع كما قلنا من ذكاء ودربة . وفيض شاعرية فهو واثق من

شاعريته ، متمكن من صنعته ، حريص على ألا يرهقها بالتوغل فى جديد . . وإنما يتناول ما قيل فيجدد معناه وكله ثقة بأن كفته هى الراجحة ، وأن شعره هو الأجود لأنه منسوج على شعر ذائع السيرورة من قبل مُزوّد بروح التحدى وإحراز قصب السبق على سابقيه .

شوقى والمتنبى . . والخديو وسيف الدولة

بقدر ما بين شوقى والمتنبى من تشابه بقدر ما بينهما من تناقض . . ينعكس بدوره على كل من العرشين اللذين استظل بهما الشاعران . .

فشوقى غير مطعون فى نسبه ، والمتنبى مطعون فيه مَهْجُوٌّ به ، كما قالوا فى أبيه :

عاش حينا يبيع فى الكوفة الما
ء وحينا يبيع ماء الْمُحَيَّا

والمتنبى يتيم لطيم معاً . . فقد الأبوين وعاش طفولة شقية يموج المجتمع فيها بتيارات عدة فى « ظل شيخوخة من الدين استظل بها المجون والفسق والقتل والملق والتفكك » . .

وشوقى لم يعرف اليتم كما عرفه المتنبى ولم ينشأ فى مجتمع ملوث كمجتمع أبى الطيب . .

ومن الطفولة الهزيلة والمجتمع المتخم انطلقت شرارة الشعر عند المتنبى وقرر أن يكون شيئا عظيما فى مجتمع فيه :

« أقل بدوى قرمطى يرى أن عباءته تلتف على الله لا على لحم ودم »

ويتزود المتنبى للرحلة بملاحين : الشعر والسيف معا . . ويتطلع ويتساءل فى شموخ :

أىّ محل ارتقى ؟ أىّ عظيم أتقى ؟

أو يهتف معلنا هويته مستعليا :

تغرَّب لا مستعظما غير نفسه
ولا قـابلاً إلا لخالقـه حُكْما

فى حين يتزود شوقى لرحلته . . بطواف فى أوربا . . ويستعيض عن سيف المتنبى بقص الخديو ، رابطا مصيره بمصيره وعصره بعصره :

. إن عصراً مولاى فيه المُرجَّى
أنـا فيـه القريض والشعراء
ألثم السُّدة التى إن أنلْهـا
تهِو فيها وتسجـدُ الجوزاءُ

ولكن سيف الدولة الأمير الذى عاش المتنبى فى ركبه كان فاهما بالشعر ، قائلا له عالما باللغة شغوفا بالفن والغناء جوادا مع الشعراء والعلماء مقارعا إياهم فى شتى الفنون . .

عليم بـأسرار الـديـانـات واللغى
له خطرات تفضح الناس والكتْبا

بل إن كافوراً الإخشيدى على ضعته ودمامته كان محبا للأدب فاهماً له كذلك علاوة على تميزهما بالقدرة السياسية والعسكرية ، فهل كان الخديو كذلك ؟

نحن نعلم أن الخديو خلو من أى ميزة حربية أو سياسية ، فلا يذكر عن عباس ولا عن توفيق شىء يؤكد هذه الموهبة ، ولا يذكر عن إسماعيل إلا حبه للهو والترف وبناؤه الأوبرا من أجل عيون الإمبراطورة لا حبا فى « موزار » أو « روسينى » . .

فالخديو الذى يقول للشاعر أحمد الكاشف حين ألحقه بوظيفة فى الخاصة الخديوية :

« نحن نريد شعيرا . . لا شعرا يا كاشف ! » لا يمكن أن يكون محبا للشعر . !

فهل كان يصغى لشوقى ويمهد له الطريق ، ويقوم مقام « ولى أمره » خلال إقامته وأثناء سفره للخارج إعجابا لشعره ، لأنه ذوَّاقة فهَّامة يطرب للإنشاد ويهش للشعراء ؟

لا دليل لدينا على ذلك أيضا . . فالخديو لم يفسح بابه لغير شوقى من الشعراء ! بل لم يذكر عنه حدبا على نهضة فنية أو علمية ولم يفتح بابه لعلماء أو أدباء ، اللهم إلا للندمان منهم وأهل المطايبة والمدامة أمثال الشيخ على الليثى شاعر عصره الذى ظفر بمنادمة إسماعيل وتوفيق وغشى مجلسيهما لا حبا فى الشعر ولكن حبا للمسامرة وربما كان سر ولع الخديو بالشعر والشاعر نابعا من قبيل استكمال الصورة . . صورة الأبهة الخديوية بما فيها شاعر المعية . . وهو شارة من شارات الملك يحرص الخديو على وضعها فى عروة سترته أو يتمثل بها سلوك أترابه من الملوك ويزهو بها وراجعا

كذلك إلى حاجته لصوت عال قوى يرتفع فى المناسبات ويعضده فى المواقف ويعبر عن رأيه فى الحوادث ويهنئه فى حفلات البال والاستقبال ، ومن ثم كان شوقى فى المعية (أىْ تابعا) وظفه الخديو وظيفة كبرى هى شاعر القصر.

ولم يكن المتنبى كذلك . . كان فى المعية . . حقا ولكن على مستوى الند . . بل لا يتورع أن يغمز سيف الدولة غمزا ويسوى بينه ملكا وبينه شاعرا :

عَـــدَلَ الرحمن فيما بيننـــا
فقضى باللفظ لى والحمد لكْ

ولم يخر أبو الطيب ساجداً فرحا عندما عينه سيف الدولة شاعره كما خر شوقى مقبِّلا يد العزيز عندما ينبئه بذلك . . بل مؤكداً ذلك فى شعره :

هيهات يسلو عن ثناك فَمِى
من بعد لثم الخمسة السحبِ

ويشترط المتنبى ألا يذل لسيف الدولة كسائر الشعراء وألا ينحنى له ويقبل الأرض بيه يديه وأن يجلس عند إلقاء شعره فإنما هو «ملك الشعراء يمدح ملك الناس» وقبل الأمير شروطه . .

فهل فعل شوقى ذلك مع الخديو ؟ ربما فسر المفسرون سلوك المتنبى على أنه تعويض عن إحساسه القاتم بطفولته وضعته . . فرفع هامته أمام كرسى الملك ليسترد ما فاته ، ولكن الأرجح — وإن كان التفسير منطقيا — أن

المتنبي يعرف سر عظمته كشاعر ويعرف أنه «ملك الشعراء» ولا يجب أن ينزل عن قمته لأحد . . فانبعث سلوكه من هذا المعنى ونسى فى زهو خيلائه عُقَده الأولى ، أولعله أشبعها من قبل حين سار فى ركب حكام قبل سيف الدولة – وحين صاحب أبا العشائر – حاكم أنطاكية ، وعلى بن منصور الحاجب ومحمد بن العلوى ببغداد وغيرهم من الأمراء والحكام الذين اتصل بهم خلال ترحاله عبر سوريا وطرابلس وبادية الشام ، ولعله أروى ظمأه للتعويض بصحبة الكبار . . أما هنا وأمام سيف الدولة فالأمر يختلف لأنه شاعر كبير أمام ملك كبير ، بل إنه فارس مغوار وسيف الدولة فارس مغوار . . بل إنه أيضا لدة لسيف الدولة إذ جمعتهما سنة واحدة فى الميلاد ٣٠٣ هـ

ولقد أغدق الخديو على شوقى إغداقا . . أعطاه اللقب والرتبة والراتب ، ولقد أغدق سيف الدولة على المتنبي أكثر مما أغدق الخديو على شوقى فبلغ راتبه «٣ آلاف دينار» كما جاء فى «الصبح المنبى» غير الهدايا والمنح ، ولكنه لم يظفر بما ظفر به شوقى قط . . وهو الولاية . . حلم المتنبي الأكبر . . والتى تقابل الرتبة عند أمير الشعراء وهو حلمه الذى هام به :

أهيم بشىء والليالى كأنها
تطاردنى عن كونه وأطارد

وكان المتنبي شاعرا وسط شعراء عظام غيره . . يخشى بأسهم ، فهناك أبو فراس الحمدانى فى الشام وهناك شعراء بغداد الفحول وسرب من

النحاة واللغويين ، كم كانوا للمتنبى وأرهقوه كابن خالويه أستاذ سيف الدولة . . » وكان لا يتورع عن لكمه بمفتاح حديد يخرجه من كمه إذا لم يعجبه نقاشه معه » .

وكان شوقى شاعراً وسط من لا يخشى بأسهم ، فهناك حافظ والمطران وإسماعيل صبرى وكلهم يقدمونه ، فمطران يعلن أنه « أرق الشعراء طبعاً واسماهم خيالا »

وحافظ يعلن ذلك شعرا :

لم أخش من أحد فى الشعر يسبقنى
إلا فتى ماله فى السبق إلاّهُ
ذاك الذى حكمتْ فينا يراعتُه
وأكرم الله والعباسُ مثواه

وإن كان حافظ لمزه . . بالشطر الأخير فإنه تهالك عليه فى مواضع أخرى طمعاً فى أن يتوسل بشوقى إلى القصر ، فيقول له معتذراً عن حضور قران ابنته :

يا سيدى وإمامى
ويا أديب الزمانِ
حرمت رؤية شوقى
ولثم تلك البنانِ

وهناك نقاد وعلماء يخشون الخديو فلا يسيلون دم شوقى ، حتى لنجد

صاحب حديث عيسى بن هشام حين ينتقد ديوان شوقى يكتب قائلا :

«لما كان حضرة الشاعر الأديب أحمد شوقى بك . عزيز المنزلة عندما . . كنا نحب له التقدم فى الأدب وكنا نتمنى أن يكون شعره كله لؤلؤا لا يخالطه جص . . وكان الانتقاد خير واسطة إلى الإحسان ، ولا بدع أن اجتزنا معه سلوك هذا السبيل» . ويسترسل المويلحى فيناقش مقدمة شوقى لديوانه ويصفه بالزهو . . ثم يعدد بعض الأخطاء اللغوية والنحوية فى شعره دون أن يخدشه بخدش .

واضح إذن أن المتنبى كان يعتلى جواد الشعر لهدف يطمح إليه أشد الطموح وهو الملك . . حتى ليدَّعى النبوة ويُحْبس بها . . ولذلك استغل من شاعريته ما يعينه على هذا الأمل . فلم يشغله الشعر قدر ما شغله هذا الأمر :

إذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعدا
فقم واطلب الشيء الذى يبتر العمرا

أما شوقى فلم يستهدف أكثر من الشعر والقصر ، وحين ظفر برضا القصر فجر طاقته الشعرية على سجيتها ولم يحبس منها شيئا .

ولم يكن شوقى كالمتنبى ثائرا متمردا مضطرم الجوانب جادا فى حياته وسلوكه لا يحب النساء ويكره الخمر . . ولا يلهيه عن هدفه شىء تشيع فى شعره آراء خطيرة فى الدين والنظام والحياة ألَّبَتْ عليه فى النهاية

السلطات وأودت به للسجن في جريمة خطيرة من جرائم الرأى قوامها الردة والخروج على السلطان والدعوة إلى تسليط السيف على المسلمين » .

ومن ثم كان شعر شوقى هادئا كنفسه مرحا كطبيعته تفوح منه روائح الخمر والعشق والبهجه . فلم تسْر فيه هذه النار الحارقة التى اشتعل بها قلب المتنبى وشعره والتى جعلته يؤمن فى النهاية بعد ما لقى من عذاب واضطهاد وتآمر وسجن بأن يُخفِّف من غلوائه و يكف عن الجهْر بالكثير مؤمنا بما سيتركه من صدى عميق عبر التاريخ :

وتركك فى الدنيا دويا كأنما
تداول سمع المرء أنمله العشْر

وشابَ شعرَه عقب ذلك حزنٌ دفين كامنٌ فى أعماق نفس هدَّها الترحال وأنهكها الأين وأعياها الطموح :

أذَاقَنِى زمنى بلوى شَرِقتُ بها
لَوْ ذاقها لبكى ما عاش منتحبا

نفس الشجن الذى انبعث من شعر شوقى خلال منفاه وأعطاه مذاقا جديدا حلوا ولكنه شجن الغربة والنفى . . وليس شجن المكيدة والدس والسجن . .

لقد عرف شوقى طريقه منذ تفتحت عيناه على ذهب إسماعيل فقرر أن يسلك الطريق للنهاية بلا حرب ولا صراع . حامداً الله على ما حباه به

من نعمة الشعر فانطلق به دارسا ومسافرا ومعالجا لموضوعات جديدة فسجَّل أحداث عصره وكتب الأراجيز ومقطوعات الأطفال والحيوان وكتب مسرحيات ونثريات وأغنيات بالعامية فخاض كل فنون التعبير وأبدع فيها .

فهل كان شوقى أميراً للشعراء . . لهذه الأسباب جميعا ؟

وهل ظفر شوقى باللقب لأنه فاق أقرانه وظل هو الصوت المعبر المميز طول حياته فى ميدان القول ؟

وأنـــا المحتـــفى بتاريخ مصر
من يَصُنْ مجد قومه صان عرضا

أم أن عناية الخديو . . وهى عناية فائقة مبالغ فيها لا تقتصر على صقل شاعرية شوقى بل تتدخل فى رسم حياته ومستقبله . . حتى لا يأذن له بالعودة عقب عامه الأول من باريس ليقضى العطلة فى مصر . . بل يتهم الخـديو سلوكه بأنه من « نزق الشباب » ويدفع له بمبلغ من المال ليتجول فى بلد غير مصر ! كاتبا له « أن يقيم أربع سنوات كاملة فى أوربا ولا يضيع منها دقيقة واحدة »

أم أن هذه العناية سبب قوى فى تنصيب شوقى أميرا ؟

إنها رعاية ملكية تلفت النظر على كل حال . . وتبلغ درجة الأبوة كما يصفها الخـديو نفسه بقوله لشوقى « أن يُغنت أباه هذا الغنى » — أى الخـديو — عند حاجته إلى نفقات وهو فى بعثته الدراسية بباريس أو

تجواله بربوع أوربا .

وهل كان الخـديو من الفراسة والحذق والعشق الشديد للشعر والأدب حتى يتنبأ بمستقبل شوقى الشعرى ويؤهله لذلك . . منذ كان طفلا ثم طالبا للعلم ثم شاعراً للقصر دون سواه ؟

أم أن هناك أسبابا أخرى تكمن وراء هذه الرعاية الفائقة ليس مجالها هذه الدراسة على أى حال . ! ؟

* * *

كلمة أخيرة

بقيت كلمة تقال :

هوجم شوقى من النقاد والأدباء كما لم يهاجم شاعر مثله حيا ، وكتبت فيه الكتب والمقالات والموازنات وفتحوا عليه النار من كل جانب

هاجمه العقاد بضراوة حتى ليهدر شاعريته إهداراً فى كتابه (الديوان) :

وهاجمه طه حسين بلا هوادة ورماه « بالالتواء فى التجديد والفشل فى التقليد »

ولم يعترف به المازنى : « شاعرا ولا شبيهه وإنه لقطعة قديمة متلكئة من زمن غابر لا خير فيه »

وأنكره الرافعى وشكرى وآخرون . .

بل يشد عليه صديقه الأثير الدكتور هيكل الذى فتح له جريدته « السياسة » وقدم ديوانه ويقرر ذعره من النقد إلى الحد الذى يدفعه (أى شوقى) إلى التلفيق وتزييف المقالات لمصلحته وأنه فى سبيل ذلك « تدلى إلى حضيض الخلق » .

وإذا كان « المدح هو الذبح » كم قال عمر . . لأن المذبوح مسلوب الحراك كذلك الممدوح مسلوب التواضع تدخله الخيلاء فيكف عن

الإبداع والعطاء . فإن شوقى يعكس الآية فيصير القدح والنقد عنده هو الذبح والاعتداء ويكون المدح والثناء هو حقه الأبدى المباح له دون مبررات لأنه كما تصور وعبَّر : « مجْد قد تكون ومن المستحيل هدمه » (أى وجود علا وشمخ) وهيهات لأحد أن يطاوله أو يجترئ عليه بنقد أو تقويم . . حتى ليعتبر ذلك « عيبا فى ذات أمير الشعراء كالعيب فى الذات الملكية » .

وحرصا على ذلك يغلبه الخوف من النقد فينزل نفسه غير منزلها وهو من هو . . فكان لا يستقر من الدأب والسفر بين الصحف والمجلات « تلقاه فى الجهاد وفى الاتحاد ، وتراه فى السياسة وبار « اللواء » وتراه فى « البعكوكة » هادئاً دائماً لا يضطرب » ليضمن ألسنة كتابها ويحجب نقد ناقديها وينفق على ذلك ويسخو ، بل لا يتورع عن تدبيج مقالات المدح له والذم لخصومه بأسماء مستعارة حتى قالوا فى ذلك : «كانت مائدته لا ترفع أطباقها ولا يُطوى غطاؤها فهى دائما محفوفة بالصحفيين وغيرهم ممن يخشى أقلامهم » .

وقد أغرى به جزعه الشديد من النقد كل هؤلاء السادة وعرفوا ضعفه فى هذا السبيل فاستغلوه . . »

ومهما يكن قدر التنازل عند شوقى وقدر هذا الاستغلال عند العارفين ببواطن ضعفه فإن أمير الشعراء كان يدافع عن مجده ويؤمن أنه فوق النقد والنقاد . . فيمضى فى مسيرته الشعرية قدُما تناوشه سهام النقد حينا

ويتقلد أكاليل المجد حينا آخر . حتى يبايعه الوطن العربى كله ولأول مرة بإمارة الشعر .

ويتربع شوقى على عرش إمارته قريرا هانئاً خمس سنوات ويرحل أمير الشعراء عام ١٩٣٢ وتمر الأيام . . ويصبح لشعره مذاق آخر كأنه تعتق فى دنان الزمان . . ولم يكن هو . !

ويتراجع ناقدوه مرة أخرى . . فيتوجونه غائبا بعد أن نام عن شواردها . . وينفضون الغبار عن «كرْمته» لتصير متحفا وأمسية ، ومافعل النقاد ذلك عن مداهنة أو سوء منقلب فى الرأى ، فهم أبعد عن المظنة والهوى وفوق الشبهة والغرض ، ولكن نقدهم فى البداية كان تيارا جديدا يهب على حقل الأدب عامة ويتصدى للشعر خاصة . . اختلفت أسبابه فبعضه قائم على قضايا الفكر وغلبة مفهوم للفن على آخر . . أو قائم على خلاف فى الآراء أو المواقف السياسية . أو منازعة على اللقب والإمارة أو اصطياد شهرة من وراء إطلاق القذائف على الكبار

وفى نفس الوقت كانت شاعرية شوقى قد صقلت واكتملت ونضجت موهبته وأوغل الحفر فى خفايا مهنته ، فعمقت دربته ولأن له قياد القول وهو فى نهاية رحلته الشعرية مما أتاح لناقديه أن يُطوروا رأيهم فيه على ضوء ما أضاف من نضج ومراس لتجربته الفنية وفى ضوء ما أسفرت عنه حلبة السباق بعد أن قطعت الجياد الشوط إلى نهايته ، وآن للحكام وأصحاب الرأى أن يقولوا كلمتهم ، وقد صار فرسان السباق ملكا خالصا للتاريخ

وأصبحوا فى منأى عن أهواء الأحياء

فيقول العقاد بعد رحيل شوقى واصفا إياه بأنه إمام مدرسة :

«كان أحمد شوقى علما فى جيله . كان علما للمدرسة التى انتقلت بالشعر من دور الجمود والمحاكاة الآلية إلى دور التصرف والابتكار . فاجتمعت له جملة المزايا والخصال التى تفرقت فى شعراء عصره»

ويقول طه حسين : «هو شاعر خلق ليكون مُجدِّداً فأقبل على التجديد فى السنين الأخيرة من حياته ، فأدخل فى اللغة العربية وفى الشعر خاصة فنا جديدا لم يسبقه أحد إليه . ومهما يكن من شىء فحسب شوقى أنه قد رد للشعر العربى قوته ورصانته ومكانته»

ويقول المازنى : «إن شوقى كان من أنضج شعراء طبقته وكان أدقهم تعبيرا وأبلغهم ، وكان عنوانا ورمزا لمصر والشرق العربى كله وأكبر ظنى أن اسمه سيظل مذكورا فى تاريخ عصره مهما بلغ اختلاف الناس فى أمره»

* * *

واختلف الناس فى أمره كثيرا . .

وفى كل الحالات عاش شوقى ومات

وكان الاثنين معا :

شاعر الأمير وأمير الشعراء .

المراجع

١ – مع المتنبى — طه حسين
٢ – شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى — العقاد
٣ – محمود سامى البارودى — د . على الحديدى
٤ – فى أصول الأدب — أحمد حسن الزيات
٥ – شوقى وحافظ — طاهر الطناحى
٦ – حافظ وشوقى — طه حسين
٧ – الشعر والتجربة — أ . مكليش
٨ – فن الشعر — د . محمد مندور
٩ – كتاب الشعر — لأرسطو ترجمة د . عبد الرحمن بدوى
١٠ – الشوقيات — الجزء الأول طبعة ١٨٩٨
١١ – أعلام من الشرق والغرب — محمد عبد الغنى حسن
١٢ – ديوان ابن سناء الملك
١٣ – فى النقد الأدبى — د . شوقى ضيف
١٤ – مهرجان البارودى — المجلس الأعلى للفنون
١٥ – مهرجان خليل مطران — المجلس الأعلى للفنون
١٦ – فيض الخاطر — أحمد أمين
١٧ – مختارات — المنفلوطى

١٨ - ابن زيدوف د. على عبد العظيم
١٩ - المعارك الأدبية بين شوقي وخصومه أنور الجندى - الهلال ١٩٦٨
٢٠ - شوقي أمير الشعراء فتحى سعيد - مجلة الإذاعة والتليفزيون ١٩٧٢

الفهرس

الصفحة

الكتاب القادم

الفلسفة الإسلامية

د . أحمد عاطف العراقى

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٤٤٣
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٤١٠ - ٧

١/٧٨/١٤٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)